من ثوابت الأديب المسلم

د. حسين دغريري
السعودية

إذا كان الأدب تعبيراً موحياً يخرجه قلب نابض استجاشت مشاعره ورهفت أحاسيسه، ذلك الأدب الذي يعد معلماً من معالم حضارات الأمم ورقيها في مجال التقدم والازدهار، والأديب المنشئ لهذا الأدب الذي يجلوه في صورة رائقة مصوراً تجارب أمته وآفاق نهضتها ومناحي رفعتها له منزلته السامقة في وضع لبنات صرح أمته وتشييد أمجادها ليكون مرآة لمراحل انبعاثها وتطور فكرها وحياتها.

وإذا كانت للأديب هذه المنزلة فالأديب المسلم الذي امتلأت جوانحه بآفاق التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان- متميزاً بذلك عن نظرات الجاهلية له مكانته المتميزة التي انبثقت من شخصية أمته ومثلها وتجاربها في انطلاقته الأدبية على أصول ثابتة تنبثق من جذور راسخة المعالم واضحة الأهداف والغايات.

من هنا كان للأديب المسلم ثوابته الفكرية والحضارية التي يصدر في نتاجه الأدبي على نور منها، ومن أبرز هذه الثوابت:

أولاً: عقيدته الإسلامية التي تملك التصور الحقيقي للكون والحياة والإنسان. فالأديب المسلم حينما يصدر في نتاجه عن هذه العقيدة فإنما يصدر من منطلق يرسم له صور الماضي، ويحدد له طريق المستقبل فلا يتخبط في متاهات السبل، ولا يتعثر في منعطفات الأطروحات الفكرية الخالية من التصور الحقيقي لهذا الإنسان الذي يلائم فطرته التي خلقه الله عليها.

ثانياً: شخصيته الإسلامية المتميزة، تلك الشخصية التي انبعثت من أصالة هذه الأمة التي ضربت بجران أمجادها في أعماق التاريخ فكان لها ماضيها المشرق العتيق، وتاريخها المزهر العظيم، ولا عجب في ذلك فهي أمة الإسلام، التي اختارها الله لقيادة البشرية، وتوجيه الإنسانية ومن هنا كانت هذه الشخصية الإسلامية هي أثمن ما يعتز به المسلم.

ثالثاً: أن الأدب عنده ليس غاية لذاته كما يراه أولئك الذين يجعلون الأدب غاية في ذاته، فالفن عندهم لمجرد الفن استجابة للمتعة الجمالية، واستثارة للذة الكامنة في النفس دون أن يرى الفنان من وراء نتاجه الأدبي سوى تلك المتعة الجميلة نفسها، بل إن الأدب عند الأديب المسلم وسيلة لغاية، هذه الغاية خلق من أجلها هذا الإنسان، وقامت لأجلها موازين السماوات والأرض، ألا وهي: العبودية لله الواحد الأحد.

رابعاً: من ثوابت الأديب المسلم ثباته في تعبيره الأدبي ونتاجه الفني على مبادئه وقيمه وانتمائه لفكرته ووجوده وذاته، فهو ليس من أدباء الريشة الذين يميلون مع الريح حيث مالت.

صعدة ثابتة في خاطري حيثما الريح تميّلها تمل

فيركبون كل موجة، ويمتطون كل صهوة، فهم صدىً لكل صوت صادح، يتبعون كل ناعق، ويقتفون كل سائر، هؤلاء هم أدباء الريشة. أما الأديب المسلم فهو ثابت على مبادئه لا يتزعزع عنها، ولا يحيد ولا يميل، لأنه يستمد ثباته من ثبات عقيدته، ورسوخه من رسوخ إيمانه.

ولعلنا نقول آخراً: إن الأديب المسلم متى انطلق في نتاجه من هذه الثوابت عاش حراً كريماً، إذ هي صمّام الأمان من الشرود والضياع والانفلات، بل هي سفينة النجاة في بحر الأفكار والأيديولوجيات المتلاطمة في هذا العصر.